الآيات من 183-185

فرضيّة الصّيام

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٨٤): عن مجاهد، قال: نزلت هذه الآية في مولاي قيس بن السّائب: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فأفطر، وأطعم لكلّ يوم مسكينًا[1].

المعنى العام

يقول تعالى مخاطبًا المؤمنين من هذه الأمّة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ آمرًا لهم بالصّيام، وهو الإمساك عن الطّعام والشّراب والوقاع بنيّة خالصة لله ﷻ، لما فيه من زكاة النّفوس وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرّديئة والأخلاق الرّذيلة، فلا يشقّ عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فإنّ الصّوم يكسر الشّهوة، لحديث رسول الله ﷺ: «﴿يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ﴾»[2] وذلك رجاء أن تبلغوا مقام التّقوى.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ كما فرض على من كان قبلكم، من الأنبياء وأممهم من لدن آدم، فلكم فيهم أسوة حسنة. فُرِض صيام شهر رمضان في شعبان من السّنة الثّانية للهجرة. وقد صامَ رسولُ الله ﷺ تسعة أعوام أو تسعة رمضانات؛ كما فُرِضَ الصّيام على الأُمَمِ السّابقة وقد كان معروفًا عند أهل الكتاب الّذين عاصروا النّبيّ ﷺ. قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ ١٨٣﴾، ولم يكن صيامهم في رمضان. فوُجوبُ صومِ رمضان لم يُشَرَّع مِن قبلُ إذ تختصّ أمّة سيّدنا محمّد ﷺ بفرضيّة صيام شهر رمضان بالذّات. وكلمة رمضان مشتقّة في الأصل من الرّمض وهو الحرّ الشّديد.

ثم بيَّن تعالى حكم الصّيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، وأنّه ليس في كلّ يوم لئلّا يشقّ على النّفوس، فتضعف عن حمله وأدائه، فقد كانوا في ابتداء الإسلام يصومون من كلّ شهر ثلاثة أيام، وقد روي أنّ الصّيام كان أوّلًا كما كانت عليه الأمم قبلنا من كلّ شهر ثلاثة أيام، ثمّ نسخ ذلك بصوم شهر رمضان. فقال ﷻ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته، عن مجاهد، باب: الحكم بن أبي العاص، ج٦، ص٥.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٥٠٦٦، كتاب: النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم.

أيّام قلائل معدودات موقّتات بعدد معلوم، فلا يهوّلكم أمره ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ مرضًا يشقّ عيه الصّيام أو يضرّه ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أو مسافرًا فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فعليه صوم عدّة ما أفطر من أيّام المرض بعد تمام الشّهر، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ بلا مشقّة مخيّرًا بين الصّيام وبين الإطعام، إن شاء صام وإن شاء أفطر، ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فليطعم عن كلّ يوم مسكينًا، من فطور وسحور، مدّ لكلّ يوم- نصف صاع من قمح أو صاع من غيره- ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ فمن زاد في الفدية بزيادة المدّ، أو أطعم أكثر من مسكين عن كلّ يوم، فهو خير له وأعظم أجرًا، ﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ أيّها المطيقون للصّيام، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فالصّيام أفضل من الإطعام إن أردتم أن تفطروا، لما فيه من الأسرار، والخير المدرار. هذه الآية هي آية التّدرّج في فرضيّة الصّيام.

فالصّيام الذي أمرتم به هو ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أي حال ابتداء نزوله فيه، أو إلى السّماء الدّنيا، وهي آية فرضيّة الصّيام.

يمدح تعالى شهر الصّيام من بين سائر الشّهور بأن اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصّه بذلك فقد ورد في الحديث بأنّه الشّهر الذي كانت الكتب الإلهيّة تنزل به على الأنبياء، فعن واثلة بن الأسقع أنّ رسول الله ﷺ، قال: ﴿أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ﴾[1] وأمّا الصّحف والتّوراة والزّبور والإنجيل، فنزل كلٌّ منها على النّبيّ الذي أنزل عليه جملة واحدة، وأمّا القرآن فإنّما نزل جملة واحدة إلى بيت العزّة من السّماء الدّنيا، وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[3] ثمّ نزل بعده مفرّقًا بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ، هكذا روي من غير وجه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، فقد سأله عطيّة ابن الأسود فقال: "إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِي الشَّكُّ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[4]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[5]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[6] وَقَدْ أُنْزِلَ فِي شَوَّالٍ وَذِي الْقِعْدَةِ وَذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَشَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَقَالَ ابن عبّاس رضي الله عنهما: إِنَّهُ أُنْزِلَ فِي رَمَضَانَ، وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَفِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثمّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَوَاقِعِ النُّجُومِ: رُسُلًا فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ"[7]

وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: أُنزل القرآن في النّصف من شهر رمضان إلى سماء الدّنيا، فجعل في بيت العزّة، ثمّ أنزل على رسول الله ﷺ في عشرين سنة لجواب كلام النّاس، وفي رواية عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر على هذه السّماء الدّنيا جملة واحدة، وكان الله يحدّث لنبيّه ما يشاء، ولا يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه، وذلك قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[8]".[9]

قوله ﷻ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممّن آمن به وصدّقه واتّبعه، فهو

(١) رواه أحمد في مسنده، عن واثلة بن الأسقع، حديث رقم: ١٦٩٨٤، مسند: الشاميين، مسند: حديث واثلة بن الأسقع.
(٢) سورة القدر، الآية: ١. (٣) سورة الدخان، الآية: ٣. (٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥. (٥) سورة القدر، الآية: ١.
(٦) سورة الدخان، الآية: ٣.
(٧) رواه البيهقيّ في الأسماء والصفات، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٥٠١، باب: قول الله تعالى: لله الأمر من قبل ومن بعد.
(٨) سورة الفرقان، الآيتان: ٣٢ - ٣٣.
(٩) ذكره ابن كثير في تفسيره، عن ابن عبّاس، باب: سورة البقرة، الآية: ١٨٥، ج١، ص٣٦٨.

هاديًا لهم إلى طريق الوصول لمقام الإسلام، ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ دلائل وحجج بيّنة واضحة جليّة لمن فهمها وتدبّرها، تهدي إلى تحقّق الإيمان وتدلّ على صحّة ما جاء به من الهدى المنافي للضّلال، والرّشد المخالف للغيّ، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ وتحقّق الفرق بين الحقّ والباطل، وهو ما سوى الله، والحلال والحرام، فيتحقّق مقام الإحسان.

ثمّ نسخ تعالى حكم الآية السّابقة، بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فمن حضر منكم في الشّهر ولم يكن مسافرًا فليصمه وجوبًا، وكان في أوّل الإسلام على سبيل التّخيير لأنّه شقّ عليهم حيث لم يألفوه، فلمّا ألفوه واستمرّوا معه، حتّمه عليهم في الحضور والصحّة، فعن معاذ بن جبل ﷺ، قال: "أُحِيلَتِ الصّلاة ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ، وَأُحِيلَ الصِّيَامُ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ، فَأَمَّا أَحْوَالُ الصّلاة: فَإِنَّ النّبِيّ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَهُوَ يُصَلِّي سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثمّ إِنَّ الله أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[1] قَالَ: فَوَجَّهَهُ الله إِلَى مَكَّةَ... وَأَمَّا أَحْوَالُ الصِّيَامِ: فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَقَالَ يَزِيدُ: فَصَامَ تِسْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ إِلَى رَمَضَانَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَصَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ثمّ إِنَّ الله فَرَضَ عَلَيْهِ الصِّيَامَ، فَأَنْزَلَ الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[2] إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[3] قَالَ: فَكَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَطْعَمَ مِسْكِينًا، فَأَجْزَأَ ذَلِكَ عَنْهُ قَالَ: ثمّ إِنَّ الله ﷻ أَنْزَلَ الْآيَةَ الْأُخْرَى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[4] قَالَ: فَأَثْبَتَ الله صِيَامَهُ عَلَى الْمُقِيمِ الصَّحِيحِ، وَرَخَّصَ فِيهِ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ وَثَبَّتَ الْإِطْعَامَ لِلْكَبِيرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الصِّيَامَ،..."[5].

وحاصل الأمر: أنّ النّسخ ثابت في حقّ الصّحيح المقيم بإيجاب الصّيام عليه، لقوله ﷻ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وأمّا الشّيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصّيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه، لأنّه ليست له حال يصير إليها يتمكّن فيها من القضاء، وعليه أن يُطعم عن كلّ يوم مسكينًا.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾ مرضًا في بدنه يشقّ عليه الصّيام معه أو يؤذيه، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ على جناح سفر، بحيث شرع فيه قبل الفجر فأفطر فيه، ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فعليه عدّة من أيّام أخر، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ حيث خفّف عنكم، وأباح الفطر في المرض والسّفر، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ إذ لم يجعل عليكم في الدّين من حرج، وإنّما أمركم بالقضاء ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ التي أمركم بها، وهي تمام الشّهر، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أمركم بصيامه فتكبّروا عند تمامه، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ حدوده، فلعلّكم أن تكونوا من الشّاكرين على ما أولياكم من سابغ النعم، وسهّلنا عليكم في شأن الصّيام.

ولفظ التّكبير المختار: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ غَدَاةَ عَرَفَةَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «(عَلَى مَكَانِكُمْ)»، ثمّ يَقُولُ: «الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، وَلله الْحَمْدُ»" فَيُكَبِّرُ مِنْ غَدَاةِ عَرَفَةَ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ آخِرِ التَّشْرِيقِ.[6] فيجمع بذلك بين التّهليل والتّكبير والشّكر، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٤. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣. (٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٤. (٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٥) رواه أحمد في مسنده، عن معاذ بن جبل، حديث رقم: ٢٢١٢٤، مسند: تتمّة مسند الأنصار، مسند: حديث معاذ بن جبل، الحديث صحيح.
(٦) رواه البيهقيّ في الدعوات الكبير، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ٥٤٠، باب: التكبير في العيدين وأيّام التشريق، الحديث في إسناده ضعف.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. فرضيّة صيام شهر رمضان.

٢. جمهور العلماء على أنّ المسلمين أمّة واحدة فإذا ثبتت رؤية الهلال في المغرب وجب الصّيام على جميع المسلمين ولو في أقصى المشرق ولا اعتبار لأسماء الدّول والحدود، فكما يحجّ المسلمون جميعًا كذلك يصومون جميعًا.

٣. الصّيام يربّي ملكة التّقوى في المؤمن.

٤. على الصّائم أن يقرأ الكبائر السّبعين ويعاهد الله تعالى على تركها في رمضان ويسأل الله تعالى أن يثبّته على التّوبة بعد رمضان، قال رسول الله ﷺ: «من لم يدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بِهِ ، فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَهُ وشرابَه»[١].

٥. يُستحبّ للصّائم أن يقرأ الأخلاق المحمّديّة، ويحرص على تطبيقها في شهر رمضان، ويسأل الله تعالى في أوقات الإجابة أن يثبّته عليها بعد رمضان.

٦. الصّيام يكفّرُ الذّنوب لحديث: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٢].

٧. رخصة الإفطار للمريض والمسافر.

٨. دلّ قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ بأنّ المرأة الحامل أو المرضع يجوز لهما الإفطار مع القضاء، وكذا الشّيخ الكبير الذي لا يرجى شفاؤه، فإنّه يفطر ولا يقضي وعليه الفدية، وكذلك المريض مرضًا لا يرجى برؤه ويضرّه الصّوم.

٩. فضل شهر رمضان وفضل القرآن.

١٠. وجوب صيام رمضان على المكلّفين، والمكلّف هو المسلم العاقل البالغ، مع سلامة المرأة من دمي الحيض والنّفاس.

١١. وفي المعنى الاشاري : صوموا لرؤيته، أي لرؤية الله تعالى، أي الهدف من الصوم للسالكين هو الفوز برؤية الله تعالى.

الدليل على أنّ الإسلام دين اليسر: وليس أدلّ على أنّ الإسلام دين يسر من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣].

ومن قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٤].

ومن قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٥]. ومن قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الدينَ يسرٌ».

القضاء: وهو فعل العبادة التي وجبت خارج وقتها المحدّد لها من قبل الشرع، وذلك كمن صام رمضان في غير رمضان بعد فواته، أو صلّى الظهر في غير وقتها المحدّد شرعًا بعد فواته. والقضاء واجب، سواء فاتت العبادة بعذر، أو بغير عذر، والفرق بينهما: أنّ فوتها بغير عذر موجب للإثم، وفوتها بعذر غير موجب للإثم. قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٩٠٣، كتاب: الصوم، باب: من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٣٨، كتاب: الإيمان، باب: صوم رمضان احتسابًا من الإيمان.
(٣) سورة الحجّ، الآية: ٧٨. (٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥. (٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[١]. أي من أفطر لعذر مرض أو سفر، فعليه قضاء ما فاته بعد رمضان.

س: لماذا فرضَ الله تعالى علينا الصّيام؟

ج: المقصود من الصّيام **التّقوى** كما نصَّ القرآنُ الكريمُ بقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذين آمَنوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ﴾[٢]. والتّقوى: أن تَجتَنِبَ ما نهى الله تعالى عنه وتفعلَ ما أَمَرَ الله تعالى به، وأن تتخلَّقَ بالأخلاق الحَسَنَةِ وتبتعدَ عَنِ الأخلاقِ السّيّئة. وَقَد فرض الله تعالى علينا الصّيام لكي يوصلنا إلى مقاماتِ المُتّقين. فإذا لم تُحقِّقْ هذه الأمورَ الأربعة في شهر رمضان فقد أَضَعْتَ المقصدَ الأساسيَّ لِصَيامِكَ. كما قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزّورِ والعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعامَهُ وشَرابَهُ))[٣].

إذًا المقصد الأساسيّ من الصّيام في شهر رمضان هو **تصحيحُ المسار والتّغيير**. وذلك من خلال التّوبة من الذّنوب وإصلاح ما أفسدته، ووضعُ خِطّةٍ لتغيير حياتِك لتسير على صراطِ الله المستقيم.

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ﴾ أي كي تتدرّجوا في مقاماتِ التّقوى عامًا بعد عام، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾[٤]، وقال رسول الله ﷺ: ((أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ على أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ على عَرَبِيٍّ.. إِلّا بِالتَّقْوى...))[٥].

س: ما الفرق بين عبادة الصّيام وباقي العبادات، كالصّلاة والزّكاة والحجّ؟

ج: معظم العبادات هي أفعال تؤدّى، كالصّلاة والزّكاةِ والحجّ، أمّا الصّيام فهو عبادة تركٍ وامتناع وإمساك.

عبادةُ الصّيام هي أن تتركَ لا أن تفعلَ. لذلك كان السّؤال الأهمّ: ماذا ستترك في شهر رمضان وليس ماذا ستفعل؟ فالصّيام تخلية وباقي العبادات تحلية، وبِقَدْرِ تمامِ التّخلية يكونُ نَفْعُ التّحلية، أي بَقدرِ تَرْكِكَ للمعاصي يكونُ نفعُ الطّاعات، وَبَقدْرِ تَزْكِكَ للأخلاقِ الذّميمَةِ يكونُ قبولُ عبادتِك.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: **"لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَايَا، وَصُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ، ثُمَّ كَانَ الِاثْنَانِ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْوَاحِدِ لَمْ تَبْلُغُوا الِاسْتِقَامَةَ"**[٦] أي الوَرع الذي يحولُ بينكم وبينَ ارتكابِ المعاصي.

ولقد حذَّرَ السّلفُ الصّالحُ من أكلِ الحرام، فقال ابن المبارك: **"لَئِن أَرُدَّ دِرْهَمًا مِنْ شُبْهَةٍ؛ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ"**[٧]

وغالبًا، ما يكونُ تركُ بعضِ المعاصي أصعبَ على النّفس من كثيرٍ من العبادات، فمثلًا مَن بينه وبينَ مُسلم قطيعةٌ وبغضاءُ، قد يَجِدُ أنّه أسهل عليه أن يعتمرَ وَيُصلّيَ التّراويح عشرين ركعة في المسجد طيلةَ شهر رمضان وأن يقرأَ عدّةَ ختماتٍ للقرآن الكريم مِن أن يسامحَ هذا الإنسان ويعفوَ عنه وَيَصِلَهُ بعدَ قطيعة.

س: ما معنى قول الله تعالى في الحديث القدسيّ: ((كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ لَهُ إِلّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لي وَأَنا أَجْزي بِهِ))[٨].

ج: عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: ((كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ يُضاعَفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثالِها إِلى سَبْعِمِائَة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣. (٣) سبق تخريجه (٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٥) رواه أحمد في مسنده، عن أبي نضرة، حديث رقم: ٢٣٤٨٩، مسند: المكيين، مسند: حديث رجل من أصحاب النّبيّ ﷺ، الحديث إسناده صحيح.
(٦) رواه ابن منده في مسند إبراهيم بن أدهم، عن عمر بن الخطّاب، حديث رقم: ٢٣، باب: رواية إبراهيم بن أدهم، عن مالك بن دينار.
(٧) رواه ابن أبي الدنيا في الورع، عن ابن المبارك، حديث رقم: ٢٠٦، باب: في الورعين.
(٨) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٥٩٢٧، كتاب: اللّباس، باب: ما يذكر في المسك.

ضِعْفٍ، قالَ اللهُ ﷻ: إلّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لي، وَأَنا أَجْزي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعامَهُ مِنْ أَجْلي»[1]. ولِفهمَ هذا الحديث، علَينا أن نفهمَ المَحبَّه وعلاماتها.

س: فما علامةُ المَحبَّة؟ وما علامة الحُبّ؟

ج: إنَّ علامةَ المحبّة: التّضحية، أي أن تتركَ ما تُحبُّه لأجلِ ما يُحبُّه محبوبُكَ وأنت فرِحٌ، لأنّكَ أدخلتَ الفرحَ إلى قلبه. ففرحُ حبيبِكَ فرحُك وحُزنُهُ حزنُكَ. وَللهِ تعالى المَثَلُ الأعلى، ولنأخذ مثال الأمّ، فهي تحبُّ أولادَها، وتُضحّي مِن أجلهم، وتُؤثِرُ سعادَتَهُم على سعادَتِها وراحتَهُم على راحَتِها. وَقَد تَمنَعُ نفسَها اللّقمةَ الّتي تُحبُّها لِتُعطيَها لِوَلَدِها؛ فإذا رَأَت وَلَدَها يَأكُلُها وهوَ فرِحٌ، فَرِحَت بِفَرَحِ وَلَدِها أكثرَ ممّا تَفرَحُ إذا أكَلَتْها.

وَللهِ تعالى المَثَلُ الأعلى فقد رأينا في الحديثِ القدسيّ: «كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ يُضاعَفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثالِها...» أي كلُّ عملِ ابن آدم يؤجَرُ عليْهِ وَيفعلُهُ ابتغاءَ الأجرِ والثّوابِ مِن اللهِ تعالى، إلّا الصّومَ فإنّه يَصومُ حبًّا للهِ تعالى، لأنَّ الصّومَ أن تتركَ ما تحبُّ لما يحبُّهُ اللهُ تعالى، لذلك قال في الحديثِ القدسيّ: "يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعامَهُ مِنْ أَجْلي".

وكما قال ابن عطاءِ اللهِ السكندريّ صاحبُ الحِكَمِ: **ما أحببتَ شيئًا إلّا كنتَ له عبدًا (أي مُطيعًا)، وهو لا يُحبُّ أن تكونَ لغيرِهِ عبدًا**[2].

وإنّ المحبّ لِمَن يُحبُّ مطيعٌ، فعلامةُ أنّك تُحبُّهُ أن تتركَ ما تشتهيه نفسُك وتهواهُ طلبًا للفوزِ بحبّهِ ورضاهُ، وأنشدوا:

أينَ المحبّونَ الّذين عليهِمُ ... بَذْلُ النّفوسِ معَ النّفائِسِ هانَ

فمَنْ طلب الأجر والثّواب، أُعطيَ أجرَه مِن وراء الباب، ومن تركَ ما يهواه، سعيًا في نيلِ رضى اللهِ، فَتَحَ له الأبوابَ، وأَدخَلَهُ مَعَ الأحباب.

إنّ علامةَ حبِّ اللهِ تعالى هي اتّباعُ النّبيّ ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبّونَ اللهَ فَاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[3]. وَالنّبيّ ﷺ من شِدّة حبّهِ لربّهِ كان هواهُ تبعًا لما يُحبُّهُ اللهُ تعالى ويرضاه، فقال ﷺ: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ - الإيمان الكامل- حَتَّى يَكونَ هَواهُ تَبَعاً لِما جِئْتُ بِهِ»[4].

س: ما علاقة القرآن وشهر رمضان بالإنسان؟

ج: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الهُدىٰ وَالفُرْقانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كانَ مَريضًا أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلىٰ ما هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ﴾[5].

نستشفّ من بدايةِ هذه الآية وجودَ علاقةٍ أساسيّةٍ بينَ شهر رمضان المبارك والقرآن الكريم والإنسان. وإذا تفكّرنا في معنى الآية يخطرُ ببالنا السّؤال الآتي: كيف يتحقّقُ هدى الناس بالقرآنِ في شهر رمضان؟

فيتبيّن لنا أنّ المقصودَ مِن تلاوَةِ القرآن هو هدايَةُ النّاس وصلاحُ أحوالِهم وليسَ مُجرّد تِعدادٍ للخِتْماتِ دون تطبيق ما فيها من أوامرَ ونواهٍ.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١١٥١، كتاب: الصّيام، باب: فضل الصّيام.
(٢) الحكم العطائيّة لعطاء الله السكندري، الحكمة ١٨٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٤) رواه البخاريّ في قرّة العينين برفع اليدين في الصّلاة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم: ٤٤، باب: أقطع له أرضًا بحضرموت، الحديث حسن صحيح.
(٥) سورة البقرة: ١٨٥.

فالمطلوبُ عندَ قراءةِ القرآنِ التَّفكُّرُ في آياتِهِ وتدبُّرُ معانيها وتطبيقُ ما وَرَدَ فيها حتّى يتحقَّقَ معنى الهُدى المذكورِ في الآيةِ. فشهرُ رمضان ينبغي أن يكونَ شهرَ تَرْكٍ لِلمعاصي والتّوْبَةِ منها، شَهرًا يتَطَهَّرُ فيه المسلمون مِن ذُنوبِهِم، وَيَتَحلّوْنَ فيه بِأَخلاقِ النّبيّ ﷺ، وهو مَن كانَ خُلُقُهُ القرآنَ.

وَقد سَهَّلَ اللهُ لَهُم هذه المَهمَّةَ بأن صَفَّدَ لهم الشّياطينَ وَأَضْعَفَ أنفسَهُم بِالإمساكِ عَنِ الطّعامِ وَالشّرابِ والشَّهَواتِ.

فَمَنِ اغْتَنَمَ رَمضان للتّوْبَةِ مِنَ الكبائِرِ وَالذُّنوبِ، وَالتّخَلُّقِ بِأخلاقِ القُرآن، فقد وُفِّق لِتَحقيقِ المُرادِ مِنَ الصّيام ألا وهو التّقوى «**لعلّكم تتّقون**». لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلى الَّذينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وإذا قَرَأَ الإنسانُ قَوْلَهُ تعالى: ﴿الَّذينَ يَنقُضونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ ميثاقِهِ وَيَقْطَعونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيُفْسِدونَ في الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرونَ﴾[2]. فعليه أن يراجع نفسَه: هل نقضتُ عهدَ اللهِ؟ هل أنا قاطعٌ لأحدِ أرحامي أو لأحدٍ ممّن أمَرَني اللهُ تعالى بِوَصْلِهِ؟ ويأخذ خطوةً نحو الإصلاح. أمّا إذا مرّ على هذه الآيةِ مُرورًا عابرًا وجُلُّ هَمِّهِ إنهاءَ خِتْمَتِهِ وهو حقًّا واقع بِحُلفِ وَعْدٍ أو قطيعَةِ رَحِمٍ، فهل هذا ما يرضي اللهَ في شهرِ رمضان!!!

والموظَّفُ الّذي يأتي إلى عملِهِ في شهرِ رمضان والتّعاسُ والإرهاقُ يغشيانه بِسَببِ قيامِ اللّيلِ وَقراءَةِ القرآن، فيُقصِّرُ في عملِهِ ولا يُعطي صاحِبَ العَمَلِ حَقَّهُ ثمّ يَأخذ راتبَهُ كامِلًا غيرَ منقوص، أليس هذا مِنَ الظّلم وخيانة الأمانة؟ قال تعالى: ﴿إِنّا عَرَضْنا الأَمانَةَ على السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلومًا جَهولًا﴾[3] فعليه إذا قرأ هذه الآيةَ أن يتدَبَّرَها وَيتوبَ ويُصلِحَ ما أفْسَدَهُ.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

السنّ التي يؤمر الطّفل فيها بالطّاعات هي إذا بلغ سبع سنين، لقوله ﷺ: «**مُرُوا أولادَكم بالصّلاة وهم أبناءُ سبعِ سِنينَ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عَشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المَضاجِعِ**»[4]، وكان الصّحابة رضوان الله عليهم يعوّدون أبناءهم على الصّوم وهم صغار، عن الرّبيع بنت معوذ الأنصاريّة قالت: "**... فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ**"[5].

(١) سورة البقرة: ١٨٣.
(٢) سورة البقرة: ٧٣.
(٣) سورة الأحزاب: ٧٢.
(٤) رواه أبو داود في سننه، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، حديث رقم: ٤٩٥، كتاب: الصّلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصّلاة، الحديث إسناده حسن.
(٥) رواه البخاريّ في صحيحه، عن الربيع بنت معوذ، حديث رقم: ١٩٦٠، كتاب: الصوم، باب: صوم الصبيان.

فريضة الصّيام على المسلمين

الأحكام الشّرعيّة:

الحكم الأوّل: ما المرض المبيح للإفطار؟

ذهب أكثر الفقهاء إلى أنّ المرض المبيح للفطر، هو المرض الشّديد الذي يؤدّي معه الصوم إلى ضرر في النّفس أو يصاحبه آلام ونوبات شديدة، ، أو زيادةٍ في العلّة، أو يُخشى معه تأخّر البرء، والسّفر الطّويل الذي يؤدّي إلى مشقّة في الغالب، وهذا مذهب الأئمّة الأربعة.

الحكم الثّاني: ما السّفر المبيح للإفطار؟

وأما السّفر المبيح للإفطار فقد اختلف الفقهاء فيه، بعد اتّفاقهم على أنّه لا بدّ أن يكون سفرًا طويلًا وقبل الفجر على أقوال:

- **قال الشّافعيّ وأحمد:** هو مسيرة يومين وليلتين، وقُدِّر بستة عشر فرسخًا أي ما يعادل ٨١ كم.
- **وقال أبو حنيفة والثّوري:** مسيرة ثلاثة أيام بلياليها، وقُدِّر بأربعة وعشرين فرسخًا أي ما يعادل ١٢٠ كم.

الحكم الثّالث: هل الصّيام أفضل أم الإفطار؟

اختلف الفقهاء القائلون بأنّ الإفطار رخصة في أيّهما أفضل؟

- فذهب أبو حنيفة، والشّافعيّ، ومالك إلى أنّ الصّيام أفضل لمن قوي عليه ما لم يكن فيه مشقّة بالغة، ومن لم يقو على الصّيام كان الفطر له أفضل، أمّا الأوّل فلقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1] وأما الثاني فلقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2].
- وذهب الإمام أحمد إلى أنّ الفطر أفضل أخذًا بالرّخصة، لقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يحب أن تؤتى عزائمه»[3].

الحكم الرّابع: هل يجب قضاء الصّيام متتابعًا؟

- ذهب عليّ، وابن عمر، والشعبيّ إلى أنّ من أفطر لعذرٍ كمرضٍ أو سفر قضاه متتابعًا، وحجتهم أنّ القضاء نظير الأداء، فلمّا كان الأداء متتابعًا، فكذلك القضاء.
- وذهب الجمهور إلى أنّ القضاء يجوز فيه كيف ما كان، متفرّقًا أو متتابعًا، وحجتهم قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فالآية لم تشترط إلّا صيام أيام بقدر الأيام التي أفطرها، وليس فيها ما يدلّ على التّتابع فهي نكرة في سياق الإثبات، فأيّ يومٍ صامه قضاءً أجزأه.

الحكم الخامس: ما المراد من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾؟

يرى بعض العلماء أنّ الصّيام كان قد شرع ابتداءً على التّخيير، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى، يطعم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٣٥٤، كتاب: البرّ والإحسان، باب: ذكر الأخبار عمّا يستحبّ للمرء من قبول ما رخص له، الحديث إسناده صحيح.

عن كلّ يوم مسكينًا، ثمّ نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وهذا رأي الأكثرين.

- ويرى آخرون أنّ الآية غير منسوخة، وأنّها نزلت في الشّيخ الكبير، والمرأة العجوز، والمريض الذي يُجهده الصّوم، وهذا مروي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما.

الحكم السّادس: ما حكم الحامل والمرضع؟

الحبلى والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو على ولديهما أفطرتا، لأنّ حكمهما حكم المريض، وهذا باتّفاق الفقهاء، ولكنّهم اختلفوا هل يجب عليهما القضاء مع الفدية، أم يجب القضاء فقط؟

- ذهب أبو حنيفة إلى أنّ الواجب عليهما هو القضاء فقط، لأنّهما من أصحاب الأعذار الطارئة المنتظرة للزّوال، فالقضاء واجب عليهما، فلو أوجبنا الفدية عليهما أيضًا كان ذلك جمعًا بين البدلين وهو غير جائز، لأنّ القضاء بدل، والفدية بدل، ولا يمكن الجمع بينهما لأنّ الواجب أحدهما. أمّا الشيخ الهرم فلا يمكن إيجاب القضاء عليه، لأنّه إنّما سقط عنه الصّوم إلى الفدية لشيخوخته، فلن يأتيه يوم يستطيع فيه الصّيام
- وذهب الشّافعيّ وأحمد إلى أنّ عليهما القضاء مع الفدية. روي عن الإمام أحمد والشّافعيّ أنّ الحامل والمرضع إذا خافتا على الولد فقط وأفطرتا فعليهما القضاء والفدية، وإن خافتا على نفسيهما فقط، أو على نفسيهما وعلى ولدهما، فعليهما القضاء لا غير.

الحكم السّابع: بمَ يثبت شهر رمضان؟

يثبت شهر رمضان برؤية الهلال، ولو من الواحد العدل أو إكمال عدّة شعبان ثلاثين يومًا، ولا عبرة بالحساب وعلم النّجوم، لقوله ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ»[1].

فبواسطة الهلال تعرف أوقات الصّيام والحجّ، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ﴾[2] فلا بدّ من الاعتماد على الرّؤية، ويكفي لإثبات رمضان شهادة واحدٍ عدل عند الجمهور.

الحكم الثّامن: هل يعتبر اختلاف المطالع في وجوب الصيام؟

- ذهب الحنفيّة والمالكيّة والحنابلة: إلى أنّه لا عبرة باختلاف المطالع، فإذا رأى الهلال أهل بلد وجب الصّوم على بقيّة البلاد. فخطاب النّبيّ ﷺ عام لجميع الأمّة، «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ...».
- وذهب الشّافعيّة في قول إلى أنّه يعتبر لأهل كلّ مطلع رؤيتهم، فبلاد الشّام لهم مطلع ودول الخليج لهم مطلع وبلاد المغرب لهم مطلع، وكلّ ذلك باعتبار المطالع لا باعتبار الدّول. والأولى الأخذ بقول جمهور علماء المسلمين، بأنّ المسلمين أمّة واحدة يصومون جميعًا ويفطرون جميعًا.

الحكم التّاسع: وقت التّكبير ومدّته

- قال أبو حنيفة ومالك: يندب التّكبير في عيد الفطر بالخروج من داره إلى المصلّى، فإذا انقضت الصّلاة، انقضى العيد.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٩٠٩، كتاب: الصوم، باب: قول النّبيّ ﷺ: ((إذا رأيتم الهلال فصوموا)).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

• وقال الشّافعيّ وأحمد: يندب التّكبير في أيّ وقت عقب الصّلاة، وفي أيّ زمن من غروب شمس ليلة العيد إلى أداء صلاة العيد، أي من رؤية الهلال إلى خروج الإمام للصّلاة.

في الأخلاق والآداب

من الكبائر: إفطارُ يومٍ من شهر رمضان بِلا عُذر

لا شكّ في أنّ الفطر في نهار رمضان بغير سبب شرعيّ كبيرة من أكبر الكبائر، وإثم عظيم يحرم الإقدام عليه، لأنّ تعمّد الفطر انتهاك لحرمة هذا الوقت العظيم، ومخالفة لأمر الله تعالى.

قال الإمام الذّهبيّ في الكبائر: "وعند المؤمنين مقرّر أنّ من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا غرض؛ أنّه شرّ من الزّاني، والمكّاس، ومدمن الخمر، بل يشكّون في إسلامه"(١).

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النّبيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ وَلا مَرَضٍ، لَمْ يَقْضِهِ صِيَامُ الدَّهْرِ وَإِنْ صَامَهُ»(٢).

وروي عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَا بِي فَإِذَا قَوْمٌ مُعَلَّقُونَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةٌ أَشْدَاقُهُمْ تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، قُلْتُ: «مَنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ»"(٣)، فإذا كانت هذه عقوبة من صام ثمّ أفطر عمدًا قبل حلول وقت الإفطار، فكيف يكون حال من لا يصوم أصلًا؟!

إنَّ إفطار المسلم يومًا من رمضان من غير عذرٍ شرعيّ يُعدُّ كبيرة، ويجب على مَن أفطر في رمضان من غير عذرٍ شرعيّ أن يتوب فورًا ويُمسك عن الطعام حتّى غروب الشمس. ويأثم بكلّ لقمة يأكلها، وكذلك بكلّ شربة أو مُفطر كالدخان. وبالتالي، فإنَّ المفطر ليوم من رمضان بغير عذرٍ يرتكب مجموعة كبيرة من الكبائر. ولا يجوز الفطر من أجل الامتحان في المدرسة أو الجامعة، وكذلك لأجل العمل. ويجوز الفطر بسبب المرض الشديد، وليس بسبب وجع رأس محمول أو رشح خفيف أو ما شابه. ويجب على من عليه قضاء صيام أيّام من سنين سابقة أن يُبادر إلى قضائها قبل حلول شهر رمضان المقبل.

الحكمة: لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلًا للقبول.

في السّيرة والشّمائل

(١) ذكره الذهبيّ في الكبائر، باب: الكبيرة العاشرة: إفطار رمضان بلا عذر، ج١، ص١٥٧.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٩٣٤، كتاب: الصوم، باب: إذا جامع في رمضان.
(٣) رواه النّسائيّ في السُّنن الكبرى، عن أبي أمامة، حديث رقم: ٣٢٧٣، كتاب: الصيام، باب: ذكر الاختلاف على شعبة، الحديث إسناده صحيح.

في السّلوك

الإشارة: كُتب عليكم الصّيام عن الحظوظ والشّهوات، كما كتب على مَن سلك الطّريق قبلكم من العارفين الثّقات، في أيام المجاهدة والرّياضات، حتّى تنزلوا بساحة حضرة المشاهدات، لعلّكم تتقون شهود الكائنات، ويكشف لكم عن أسرار الذّات، فمن كان فيما سلف من أيّام عمره مريضًا بحبّ الهوى، أو على سفر في طلب الدّنيا، فليبادِرْ إلى تلافي ما ضاع في أيّام أُخر، وعلى الأقوياء الذين يُطيقون هذا الصّيام، إطعام الضّعفاء من قُوت اليقين ومعرفة ربّ العالمين. فمَنْ تطوّع خيرًا بإرشاد العباد إلى ما يُقوّي يقينهم، ويرفع هممهم فهو خيرٌ له.

وأَنْ تَدُوموا أيّها الأقوياء على صومكم عن شهود السّوى (أي ما سوى الله) ، وعن مخالطة الحسّ بعد التّمكين، فهو خير لكم وأسلم، إن كنتم تعلمون ما في مخالطة الحسّ من تفريق القلب وتوهين الهمم، إذ في وقت هذا الصّيام يتحقّق وحي الفهم والإلهام، وتترادف الأنوار وسواطعُ العرفان. فمن شهد هذا فَلْيَدُمْ على صيامه، ومن لم يَقْدِر عليه فَلْيَبْكِ على نفسه في تضييع أيّامه.

في أشراط السّاعة

في الإعجاز العلميّ

قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]

لقد أثبت الطبّ الحديث أنّ للصيام إعجازاً علميًّا وفوائد طبّيّة عديدة فهو يفيد في علاج كثير من الأمراض كضغط الدم المرتفع وتصلّب الشرايين والبول السكّريّ ويصلح الجهاز الهضميّ وهبوط القلب والتهاب المفاصل. ويعطي الجسم والأنسجة فرصة للراحة والتخلّص من كثير من الفضلات الضارّة بالجسم.

في الأدعية والأذكار

نيّة الصيام:

اللَّهُمَّ إنّي نويتُ صومَ يومِ غدٍ من شهرِ رمضانَ تعرُّفًا عليكَ وتَوَدُّدًا إليكَ وتحبّبًا إليكَ إيمانًا واحتسابًا حتّى أكونَ ممّن تحبَّهم ويحبّونك، يا ربّي قد نويتُ تركَ ما تحبُّه نفسي من المعاصي والشّهواتِ المحرّمةِ حبًّا بكَ وتقديمًا لما تحبّ على ما أحبّ (وتستحضر بعض هذه المعاصي) فأعنّي وثبّتني واجعلْ صومي صومَ العارفينِ وقيامي قيامَ المقرّبين واجعلني في هذا الشّهرِ المباركِ منَ الواصلينَ وحقّقني في مقاماتِ المتّقينَ واجعلني من المُكرَمينَ الّذين قلتَ فيهم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2] بمنّكَ وجودِكَ وكَرَمِكَ يا أكرمَ الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعِنّا على ذكرِكَ وشكرِكَ وحسنِ عبادتِكَ.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

دعاء قبل الإفطار بعشر دقائق:

اللّهُمَّ لكَ الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهِكَ وعظيمِ سلطانِكَ سبحانَكَ لا أُحصي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيْتَ على نفسِكَ... يا اللهُ يا عليُّ يا عظيمُ صلِّ وسلِّم على سيّدِنا محمّدٍ عبدِكَ ورسولِكَ النّبيِّ الأُمّيِّ ذي القدرِ العظيمِ، مَن وصَفتَهُ بقولِكَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] صلاةً تُخَلِّقنا بأخلاقِهِ وتُؤدّبنا بآدابِهِ وتجعلنا من خيرةِ أحبابِكَ وأحبابِهِ ومن كُمَّلِ وُرّاثِهِ بيسرٍ ولطفٍ وعافيةٍ، صلاةً كاملةً بكمالِكَ دائمةً بدوامِكَ لا مُنتهى لها دونَ عِلمِكَ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلِّم تسليمًا كثيرًا مثل ذلك.

يا اللهُ يا واحدُ يا أحدُ يا غنيُّ يا صمدُ يا عليُّ يا عظيمُ بحقِّ: بسم الله الرَّحمن الرّحيم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2]. **اللّهُمَّ** حَرِّرني من رِقّ الشّهواتِ ومن رِقّ العاداتِ واجعلْني عبدًا لك في جميعِ الحالاتِ.

اللّهُمَّ اجعلني ممّنْ يستجيبُ لأوامِرِكَ وينتهي عن نواهيكَ واجعلني من المتحابّينَ فيكَ، واقبلْني يومَ القيامةِ معَ حبيبِكَ المصطفى ﷺ. اللّهُمَّ اجعلْ صَومي مقبولاً بفضلِكَ. يا اللهُ يا جبارُ أسألُكَ أن تجبرَ كلَّ خللٍ وزَللٍ ونَقْصٍ وعَيْبٍ كان في صيامي وقيامي وأن تتقبّلَهُ منّي كاملًا مُكمّلًا.

اللّهُمَّ إنّي أدعوكَ بدُعاءِ الصّالحينَ في هذا الوقتِ المباركِ. يا منْ وعدْتني بدعوةٍ مستجابةٍ عند فِطري ويا منْ أطمعْتني بقولِكَ: **"وأنا أجزي بِهِ"** فكنْ يا ربّي جزائي ولا تجعلْ في قلبي سِواكَ واجعلْ خيرَ أيّامي يومَ لقاكَ واجعلْني منْ أهلِ رضاكَ وأغْنني بكَ عمّنْ سواكَ وأزِلْ حجابَ الغفلةِ عن قلبي حتّى أراك.

اللّهُمَّ إنّي أسألُكَ أن تُغيّبني بِقُربِكَ منّي حتّى لا أرى ولا أسمعَ ولا أحسَّ بقربِ شيءٍ ولا ببُعدِهِ عنّي إنّكَ على كلّ شيءٍ قديرٍ.

اللّهُمَّ أغنني بلا سببٍ واجعلني سببَ الغِنى لأوليائِكَ وبرزخًا بينهم وبين أعدائِكَ إنّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

اللّهُمَّ يا اللهُ يا مَنْ قلتَ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[3] أسألُكَ يا اللهُ يا جبّارُ يا قريبُ بجاهِ نبيكَ محمّدٍ أن تبلّغَني ما قصدْتُهُ وأمّلْتُهُ ونويْتُهُ في صومي هذا فترزقُني في الدُّنيا معرفَتَكَ وشهودَكَ وفي البرزخِ لقاءَكَ وفي الآخرةِ رؤيتَكَ معَ الأولياءِ والعارفينَ مقرونًا بعوافي الدّارين.

﴿ربّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النّارِ﴾[4].

﴿رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنا لِلْمُتَّقينَ إِمامًا﴾[5].

اللّهُمَّ اختمْ لي بالموتِ على الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ والإيقانِ إنّكَ أنتَ المنعمُ الكريمُ المنّانُ آمين آمين آمين.

اللّهُمَّ أصلحْ أمّةَ سيّدِنا محمّدٍ ﷺ. **اللّهُمَّ** فرّجْ عن أمّةِ سيّدِنا محمّدٍ ﷺ. **اللّهُمَّ** ارحمْ أمّةَ سيّدِنا محمّدٍ ﷺ.

اللّهُمَّ وَفِّقْ كُلَّ مسلمٍ في العالمِ ليكونَ مِنَ المُكثِرين منَ الصّلاةِ والسّلامِ على النّبيِّ ﷺ، واجعلْ ذلكَ سببًا في هدايةِ جميعِ المسلمينَ، ووفّقني للتّخلّقِ وعائلتي بالأخلاقِ المحمّديّةِ، وأعنّي على نشرِها في العالمِ أجمعَ واجعلْ ذلكَ سببًا في إحياءِ الدّينِ وليتمَّ اللهُ نورَهُ ويُظْهِرَ دينَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وسببًا في إدخالِ السّعادةِ والسّرورِ على قلبِ حبيبِكَ محمّدٍ ﷺ حتّى نشهدَ مرّةً أخرى مثلَ يوم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[6].

(١) سورة القلم، الآية: ٤.
(٢) سورة الإخلاص، الآيات: ١-٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٦) سورة النّصر، الآيتان: ١-٢.

ثمّ تقولُ: يا اللهُ يا توّابُ يا من تحبُّ التوّابين: **إنّي تبتُ إليكَ من: (كذا وكذا وتُسمّي المعاصي وتعدّدها)** فتبْ عليّ توبةً نصوحًا وثبّتني على التوبةِ من هذه المعاصي في شهرِ رمضانَ وبعدَ رمضانَ **(يا أرحمَ الرّاحمين)** (٣ مرّات) آمين.
(ثمّ تدعو بما تشاءُ)
وتختمُ: **اللّهُمَّ** صلِّ وسلِّمْ وباركْ على سيّدِنا محمّدٍ النّبيّ الأميّ الرّسولِ، صلاةً توفّقنا بها لإتمامِ الأصولِ، وتُبلّغِنا بها تمام الوصول، وتُعطينا بها من فضلِكَ كلَّ سُول، مقرونًا بعوافي الدّارينِ بجاهِ سيّدِ الكونينِ صلّى اللهُ وسلّمَ عَلَيه وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعين، أبدَ الآبدينَ ودهرَ الدّاهرينَ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ. آمين، آمين، آمين.

وقبل الطّعام تقول: بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ: **اللّهُمَّ** بارِكْ لنا في طعامِنا هذا وارزُقْنا خيرًا منه. **اللّهُمَّ** أعنّي بهِ على طاعتِكَ ولا تجعلْهُ سببًا في معصيتِكَ واجعلْ دعائي مقبولًا بفضلِكَ ولا تجعلْ دعائي مردودًا بسببِهِ.
فإذا أكلت ثلاث تمرات وشربت الماء تقول: **«اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ»**[1] **«ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ»**[2].

(١) رواه الحارث في مسنده، عن علي. رقم الحديث: ٤٦٩. كتاب: الوصايا. باب: وصية سيّدنا رسول الله ﷺ.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عمر. رقم الحديث: ١٥٣٦. كتاب وباب: الصّوم. الحديث صحيح.